



أحداث الحرب الباردة في سوريا

سباق التسليح الدولي في سوريا خلال الربيع الأول من عام 2018

دراسات وبحوث



تحول سوريا إلى ساحة حرب باردة بين روسيا والغرب

تشهد تطورات الأحداث منذ مطلع العام الجاري تحول سوريا إلى ساحة حرب باردة جديدة بين روسيا والغرب، حيث تقلص مستوى التنسيق العسكري، وتراجعت العلاقات الدبلوماسية نتيجة طرد عدد كبير من الدبلوماسيين الروس من الولايات المتحدة وأوروبا عقب اتهام موسكو بالقيام بعمليات استخبارية، وتنامى الاحتقان والتوتر نتيجة الانتقال من "حروب الوكالة" إلى "حروب الأصاله" من خلال المواجهات المباشرة، والتي تتوجت بالضربة العسكرية الغربية لأهداف تابعة للنظام في 14 أبريل الماضي.

ويمكن القول إن سوريا قد تحولت إلى ساحة لتسجيل النقاط بين موسكو والعواصم الغربية، مع انتفاء رغبة أي من الطرفين بوقوع مواجهة بينهما، وإدراكهما ضرورة محافظة كل طرف على "مصالحه" و"مناطق نفوذه" في الداخل السوري، الأمر الذي يجعل الحال في سوريا شبيهاً بوضع ألمانيا المقسمة في خمسينيات القرن الماضي، وذلك بالتزامن مع تزايد وتيرة سباق التسليح، حيث تتقدم موسكو في شرق سوريا لتحقيق أهدافها رغم فداحة خسائرها في 7 فبراير الماضي، إذ تقوم فرق هندسية روسية بزيادة طول وعرض المدرجين الحاليين في مطار دير الزور، بالإضافة إلى تعبيد مدرج ثالث، وإنشاء مقر للقيادة، لتحقيق رغبة بوتين في إعادة تشكيل مطار دير الزور ليصبح ثاني أكبر مطار في سوريا بعد حميميم، خاصة وأن مطار دير الزور يبعد 272 كم عن قاعدة القوات الأمريكية عين الأسد غرب العراق، مما يتيح للروس عرقلة محاولات القوات الأمريكية السيطرة على الأجواء فوق الحدود السورية العراقية بما في ذلك وادي الفرات، حيث تمكن القاعدة الجوية بدير الزور الطائرات الروسية من التحليق شرقاً على بعد 500 كم عن بغداد، وتجعلها على مسافة لا تبعد سوى 450 كم عن وحدات قوات العمليات الخاصة الأمريكية المتموضعة شمال الأردن وبذلك سيتمكن الروس من عرقلة العمليات الجوية الأمريكية المنطلقة من العراق والأردن في الوقت نفسه.

كما يعمل الجيش الروسي على تعزيز قدرات جيش النظام بالمزيد من الأسلحة النوعية، حيث تم تزويد الفرق المقاتلة في دير الزور بمدافع حديثة وآليات استطلاع ورادارات متطورة، وتطوير طائرات الكلية الجوية "طراز ل-39" (الباتروس) التي باتت أكثر طائرات النظام جاهزية في القوى الجوية، وذلك بالتزامن مع نشر المزيد من المنظومات الصاروخية، وعلى رأسها بطاريات منظومتي: "إس-300" و"إس-400" ومنظومة "بانتسير" غربي البلاد.

وفي مقابل الدعم الذي تقدمه موسكو للنظام؛ تعمل واشنطن على تعزيز قدرات قوات سوريا الديمقراطية، حيث خصّصت وزارة الدفاع الأمريكية 300 مليون دولار من ميزانية عام 2019 لتدريب وتجهيز هذه القوات التي يشكل المقاتلون الأكراد عمودها الفقري، كما خصصت 250 مليون دولار للقوة الأمنية الحدودية التي أسستها تلك القوات.

استخدام الساحة السورية لاستعراض الأسلحة المتطورة

في هذه الأثناء؛ تتزايد ظاهرة توظيف الساحة السورية من قبل طرفي الصراع الدولي في الحرب الباردة الجديدة لاستعراض الأسلحة الفتاكة، حيث كشف رئيس لجنة مجلس الدوما لشؤون الدفاع، فلاديمير شامانوف (22 فبراير 2018) أن: "روسيا أظهرت للعالم بأسره فعالية المجمع الصناعي العسكري من خلال اختبار أكثر من 200 سلاح جديد في سوريا".

ومن أبرز الأسلحة التي استعرضتها موسكو في معترك الصراع السوري قاذفات "تو-95 إم إس" و"تو-160" الإستراتيجية، ومروحيات "مي-28 أو بي" المزودة بنظام تحكم مزدوج، وصواريخ "إكس-101" المجنحة (جو-أرض) التي يمكن تزويدها برؤوس حربية نووية، وغواصتي "روستوف أون دون" و"فيليكسي نوفغورود" المزودة بصواريخ "كالبر" المجنحة، والتي استخدمت لإطلاق صواريخ من تحت سطح الماء من على بعد أكثر من 650 كيلومتراً عن أهداف في العمق السوري.

وفي مقابل العمليات الاستعراضية الروسية؛ مثلت "الضربة الرمزية" التي تلقاها النظام في 14 أبريل الماضي فرصة لاستعراض القدرات الصاروخية لدى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، حيث تم قصف مواقع للنظام بنحو 105 صواريخ في غضون دقيقتين فقط (!)، وذلك بعد نحو أسبوع كامل من التحضير للعملية التي تجاوزت تكلفتها 100 مليون دولار، واستخدمت فيها طائرات وسفن أمريكية وبريطانية وفرنسية، وأطلقت خلالها صواريخ "كروز" من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي. بالإضافة إلى مشاركة عشرات من طائرات التزود بالوقود وطائرات الاستطلاع والمرافقة وأجهزة التشويش المحمولة جواً.

ووفقاً لمصادر عسكرية أوروبية فإن الولايات المتحدة أطلقت 85 صاروخاً؛ 66 من طراز "توماهوك" و19 من طراز "GASSM-ER"، وتبلغ تكلفة صاروخ "توماهوك" نحو 1.5 مليون يورو، وأطلق الفرنسيون 12 صاروخاً من طراز "سكالب" يبلغ تكلفته الواحد منها 850 ألف للصاروخ الواحد، وأطلقت المملكة المتحدة 8 صواريخ من طراز "ستورم شادو".

ووفقاً لتقرير نشره موقع "ديفينس نيوز" الدفاعي (13 أبريل 2018) فإن الروس لم يفعلوا منظومة "إس-400"، مما يفتح احتمال استخدام الروس راداراتهم لتعقب الصواريخ المطلقة من قبل التحالف دون أن تعترضها الدفاعات الروسية، في حين لم تدخل أي من طائرات الحلفاء الأجواء السورية، ولم يتم استخدام أي من طائرات "إف-22" لمرافقة قاذفات "بي-1" للحماية، بل تم إرسال طائرة واحدة هي "إي أيه-6 بي" بهدف التشويش الإلكتروني على الدفاعات الروسية ومرافقة سفينة الإنزال والدعم اللوجستي.

ومن الملفت للانتباه أن القوات الأمريكية قد أطلقت 19 صاروخ كروز كانت محمولة على القاذفة "بي-1"، وهي المرة الأولى التي يتم فيها إطلاق هذا النوع من الصواريخ التي تصنعها شركة "لوكهيد مارتن" وتحمل خاصية "الشبح" الموجهة بنظامي "جي بي إس" وبالأشعة فوق الحمراء، بمدى يصل إلى 500 ميل بحري، بينما كان سلفه يصل إلى 200 ميل فقط، مما يعني بأنه قد مكّن القاذفة بي-1 من البقاء على مسافة من الدفاعات الجوية السورية لحظة إطلاق الصواريخ.

ويمكن إجمال أبرز الأدوات المستخدمة في إذكاء الحرب الباردة بسوريا من خلال التقنيات الثلاثة التالية:

أولاً: الطائرات الآلية

في استعراض غير مسبوق للتقنيات العسكرية المتطورة؛ قامت إيران بإطلاق طائرة "صاعقة" المسيرة آلياً مزودة بأربعة صواريخ من قاعدة "T4" (10 فبراير 2018) باتجاه الحدود السورية-العراقية، ثم استدارت جنوباً وسلكت الجهة الشرقية من الحدود، وصولاً إلى المثلث الحدودي السوري-العراقي-الأردني فوق قاعدة التنف، ثم واصلت سيرها جنوباً

على طول الحدود العراقية الأردنية، واتجهت نحو شمال الأردن فوق نهر الأردن، ثم دخلت الأجواء الإسرائيلية جنوب بحر الجليل ووصلت بلدة بيت شين شمال إسرائيل حيث أسقطتها مروحيات "أباتشي" إسرائيلية هناك.

ويتضح من خلال تتبع هذا المسار أن الإيرانيين أرادوا جس نبض قدرات الدفاع الجوية الأمريكية جنوب شرق سوريا وشمال الأردن، عقب يومين من اكتشاف الأمريكيين المتموضعين على الجهة الشرقية من الفرات في دير الزور قيام المهندسين العسكريين الروس بنصب جسر عائم لنقل قوات "حزب الله" والنظام والمليشيات الحليفة إلى الجهة الشرقية من النهر.

ويبدو أن التجربة الإيرانية كانت تهدف إلى دراسة مدى قدرات طائراتهم المسيرة في تفادي شبكة الرادارات الإسرائيلية الكثيفة التي تحمي الجولان وشمال إسرائيل وذلك من خلال التسلسل عبر الأردن، لكن التجربة باءت بالفشل.

وترى مصادر عسكرية أن الطائرة الإيرانية "صاعقة" قد وقعت في فخ أمريكي محكم دون أن تتورط واشنطن عسكرياً مع طهران، إذ لم تتخلى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية عن رغبتها في الانتقام من إسقاط طائراتها الشبح المسيرة آلياً "سينتينال-170 كيو آر"، والتي استولى عليها الإيرانيون قبل ثمان سنوات بكامل أنظمتها الدقيقة وأجهزة تعقب الاختبارات النووية السرية ومن ثم ادعت طهران بأنها صنعت نسخة مقلدة عنها أسمتها "صاعقة".

وبعد انتظار طويل؛ مثل وصول الطائرة المسيرة الإيرانية المقلدة إلى قاعدة "T4" فرصة للاستخبارات العسكرية ولسلاح الجو الأمريكي لمعرفة حجم الأسرار المقرصنة التي توصلت إليها إيران في تصنيع "صاعقة" بالتعاون مع الروس والصينيين.

وفي مقابل الاختبار الإيراني لطائرة "صاعقة" الآلية؛ مثل استخدام الطائرات الحربية غير المأهولة تطوراً كبيراً في إمكانات القوى المناوئة لموسكو في سوريا في 6 يناير الماضي، حيث قام مصدر مجهول باستخدام تقنية صنع وتشغيل هذه الطائرات وتوجيهها باستخدام التقنيات الحديثة الموجهة بواسطة الأقمار الصناعية "جي بي إس".

وأكد مصدر عسكري روسي أن كل طائرة من الطائرات الثلاثة عشر المسيرة آلياً والتي شاركت في الهجوم على حميميم كانت تحمل قذيفتين تحويان مواد متفجرة تم تركيبها

بحرفية، وتم تفعيلها بواسطة صواعق هاون مصنوعة في الخارج، كما يتسع الهيكل لعبوة متفجرة أخرى، وتعمل بمحرك ديزل صغير، ويتكون هيكلها من الستيريوفوم والبلاستيك والخشب والألمنيوم.

ونظراً لعدم وجود كاميرات في تلك الطائرات، فإن القوات الروسية تعتقد أن الجهة المنفذة تمتلك منظومة طيران آلي وتستخدم محاولات ضغط للتحكم بالارتفاع ومشغلات ميكانيكية. وتسابق أجهزة الأمن الروسية الزمن لتعقب هذه الصناعة ومعرفة ورش تركيبها ومصدرها.

ويسود الاعتقاد في موسكو أن أمريكا وأوكرانيا لهما دور في ذلك الهجوم الذي يتطلب تنفيذه قدرات متطورة في مجال البرمجة الملاحية و وجود خبراء في محطة توجيهه وتحكم لاسلكي لتحديد الهدف وضربه.

وعلى إثر الخسائر التي تكبدتها القاعدة الروسية في حميميم؛ أعلنت موسكو تشكيل قوات مهام خاصة للتصدي للطائرات المسيرة آلياً، بهدف تأمين منشآتها في كل من سوريا روسيا؛ إذ إن حصول الجماعات المعارضة لها على تقنيات المقاتلات الآلية سيجعل قواعدها الجوية ومنشآتها العسكرية ومفاعلاتها النووية ومحطاتها الكهربائية والمائية تحت مرمى هذه الطائرات، حيث يعتقد أنها ستستخدم تقنيات متطورة من طراز "بانتسير-إس1" لمواجهة خطر الطائرات الآلية.

وعلى الرغم من تلك الإجراءات الاحترازية إلا أن الهجمات على القاعدة الروسية قد استمرت، حيث تعرضت حميميم لهجوم آخر في 11 مارس بطائرات مسيرة آلية، وذلك في أعقاب تحطم طائرة نقل عسكرية روسية خلال الهبوط في حميميم، ما أسفر عن مقتل 39 شخصاً كانوا على متنها. ولم يصدر على الفور تعليق من الجانب الروسي.

كما تم تسجيل هجوم آخر في 25 أبريل الماضي، حيث أعلن رئيس إدارة العمليات العامة التابعة لهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية، الفريق أول سيرغي رودسكوي، أن الدفاعات الجوية الروسية أسقطت طائرتين دون طيار، بالقرب من منطقة مطار حميميم في سوريا، مؤكداً قيام الدفاعات الجوية الروسية برصد وإسقاط طائرتين دون طيار للمسلحين على مسافة 10 كيلومترات من القاعدة.

ثانياً: تقنيات التشويش

أعلن الجيش الأمريكي في 26 أبريل عن تعرض طائراته لعمليات تشويش كبيرة في سماء سوريا، معتبراً أن الحرب الإلكترونية التي يتعرض لها هي "الأكثر عدوانية في العالم".

ونقلت مصادر عسكرية عن الجنرال راييموند توماس، رئيس قيادة العمليات الخاصة للقوات المسلحة الأمريكية، قوله إن طائرات سلاح الجو الأمريكي تواجه "البيئة الكهرومغناطيسية المعادية" في سوريا.

وحمل الجنرال الأمريكي عدواً لم يذكر اسمه المسؤولية عن خلق "البيئة الكهرومغناطيسية المعادية" التي تصيب الطائرات الأمريكية في سماء سوريا بالشلل.

ومن الواضح أن المقصود بالعدو الذي يبث الموجات الكهرومغناطيسية المعادية للطائرات الأمريكية هو روسيا التي تستخدم أجهزة الإعاقة التشويشية في سوريا.

ويرى مسؤولون أمريكيون أن العسكريين الروس يضعون عوائق تشويشية أمام طائرات "درون" الأمريكية في سوريا، مؤثرين بذلك على العمليات العسكرية الأمريكية.

ومن جانبه قال المحلل العسكري أندريه كوشكين إن الأمريكيين فوجئوا بوجود وسائط التشويش الإلكتروني الفاعلة في سوريا والتي لم تكن موجودة في العراق وأفغانستان، مشيراً إلى إمكانية وجود وسائل الحرب الإلكترونية الحديثة من طراز "كراسوخا" في سوريا.

وقد أكد رئيس تحرير مجلة "الدفاع الوطني" في موسكو إيغور كوروتشينكون هذه المعلومة بقوله إن الطائرات الأمريكية يمكن أن تتعرض لتشويش إلكتروني عند التحليق في الأجواء السورية، بسبب وجودهم بصورة غير شرعية في سوريا، حيث تهدف عمليات التشويش الإلكتروني إلى إرباك الطائرات المعادية بموجات إلكترونية كثيفة تفقد القدرة على تحديد الهدف بواسطة راداراتها الخاصة.

وتستخدم لعمليات التشويش أجهزة خاصة يطلق عليها "إيه سي إم" تقوم بخداع أجهزة رادارات الطائرات المعادية، وتعطل قدرتها على رصد الموجات الرادارية المنعكسة على الأهداف، حتى لا تستطيع تحديدها وضربها.

وتطلق أجهزة التشويش "حزماً إلكترونية" في اتجاه مضاد للموجات التي ترسلها الطائرات المعادية، وتكون قادرة على إخفاء الأهداف أو تقليل نسبة اكتشافها حسب قوة موجات التشويش، التي تطلقها تلك الأجهزة.

ويمكن لأجهزة التشويش القوية أن تعطل قدرة أجهزة الرادار لعدة طائرات حربية، ويعتمد ذلك على الطول الموجي للترددات المستخدمة.

وتتحدث مصادر عسكرية أمريكية عن تزويد القوات الروسية قاعدة حميميم بمنظومة "رايشاغ-أيه في" التي تقوم بأعمال الرصد والتشويش على منظومات القيادة والتحكم الإلكترونية وعلى رادارات صواريخ جو-جو.

وترمي موسكو من خلال هذه المنظومة إلى تأمين الحماية للطائرات المروحية، والطائرات ثابتة الجناح، والطائرات المسيرة آلياً، والعربات المدرعة، والسفن التي تعمل ضمن نصف قطر مداه 400 كم، إذ سيكون بإمكانها التشويش على عدد من الأهداف بشكل متزامن لصد الهجمات الإسرائيلية والأمريكية المتوقعة.

وقد تم تصميم منظومات التشويش الروسية هذه، لصد الهجمات الصاروخية التي تشنها الطائرات الأمريكية على أهداف يبلغ مداها 400 كم في عمق الأراضي السورية، ولديها إمكانية التشويش على المنظومات الصاروخية الأمريكية لمسافة تمتد من شمال العراق حتى شرق البحر المتوسط، ومن غير المعروف إذا ما كان لدى الأمريكيين والإسرائيليين تقنيات لتحديد محطات التشويش الروسية المتطورة.

ووفقاً لموقع "ستراتيجي بيج" (16 أبريل 2018) فقد تم رصد وصول مروحية روسية من طراز "مي-8" مزودة بمنظومة التشويش الجديدة (رايشاغ-أيه في) تعمل شمال غرب سوريا للتشويش على الطائرات المعادية والصواريخ التي تعتمد على الاتصالات الأثرية.

وكانت روسيا قد دشنت هذه المنظومة للمرة الأولى عام 2015، كما قامت في العام التالي (2016) بتزويد مروحيات النقل "إم-8" (مي-8 إم تي بيه آر-1) بمحطة "رايشاغ-أيه في" وسلمتها لوحدة الجيش العاملة في أوكرانيا.

وقد تم تصميم (رايشاغ-أيه في) للعمل في الطائرات والشاحنات والسفن، حيث تتضاعف قدراتها على التقاط المزيد من الإشارات إذا تم حملها جواً أو تم تركيب مجساتها وقطعها المخصصة للتشويش في أعلى أجزاء السفن.

ولا يعرف إذا ما كانت روسيا قد استخدمت فعلياً محطات (رايشاغ-أيه في) في سوريا أو في أوكرانيا أو إذا ما كانت قد استخدمتها للتشويش على العمليات الجوية الكبيرة كتلك التي شنها الحلفاء في 13 أبريل لضرب منشآت كيميائية للنظام السوري، إلا أنه من الواضح أن موسكو تعمل على تطوير الكثير من معداتها التي تعود لزمن الحرب الباردة وخاصة معدات الحرب الإلكترونية التي تتمتع بأولوية كبيرة.

وبدأت تلك التحديثات تظهر في المشهد السوري، حيث تستخدم المنظومة الجديدة مكتبة محوسبة من الإشارات، بحيث تلتقط الإشارات وتتعرف عليها، ومن ثم تهاجمها بإرسال أقوى إشارات التشويش وأكثرها فعالية، وربما باستطاعة منظومة التشويش هذه التقاط إشارات على بعد 400 كم.

وتشير مصادر عسكرية مطلعة إلى أن الروس يعملون على تطوير نحو عشرين محطة تشويش يتم تركيب معظمها على مروحيات "مي-8"، حيث ستقدم هذه المروحيات المخصصة للحرب الإلكترونية التشويش للمروحيات الهجومية ومقاتلات الإسناد الأرضي، إلا أن هذه المروحيات لا تتمكن من حمل أكثر من أربعة أطنان ولها استطاعة محدودة لتوليد الطاقة الكهربائية ولذلك فإن المدى الأقصى للتشويش ربما لا يزيد على 100 كم في أفضل الأحوال.

وفي تطور جديد؛ حلت مروحية الحرب الإلكترونية (Mi-8MTPR-1) مكان "مي-8"، ويبلغ وزنها نحو 14 طن، في حين تصل حمولتها إلى 4 طن، ويصل مداها إلى 800 كم، في حين تبلغ سرعتها 260 سا والسرعة العظمى 280 سا، ومن الممكن أن يربط فيها من الأسفل شبكة أو حبال تحمل ما قدره أربعة أطنان.

وفي المقابل تستخدم القوات الأمريكية طائرات التشويش الإلكتروني "EC-130" في عملياتها، في حين تزج القوات البريطانية بمنظومة تشويش متطورة في طائرة "سينتينل-1" من صناعة شركة "رايثون" الأمريكية، حيث أكد تقرير "جينز" الدفاعي البريطاني (13 أبريل 2018) أن سلاح الجو الملكي البريطاني قد أرسل هذه الطائرة إلى قبرص كجزء من حشد التحالف الغربي لشن ضربة على مواقع للنظام السوري، حيث أقلعت من قاعدة سلاح الجو البريطاني وادينغتون في لينكولنشاير صباح 12 أبريل، ورفض الناطق باسم سلاح الجو البريطاني تقديم أي تفاصيل لموقع "جينز" قائلاً: "إن كافة طائرات الاستطلاع والإشراف والاستخبارات البريطانية تستمر بتقديم الدعم للجهود الحليفة حسب المعتاد".

كما أكد موقع "إنتل نيوز" (20 أبريل 2018) أن بريطانيا قد شاركت للمرة الأولى في عمليات الحرب الإلكترونية ضد تنظيم "داعش" في سوريا والعراق، حيث تعمل على إعطاب أجهزة الاتصال التابعة للتنظيم والتشويش عليها، وذلك بهدف شل قدراتها ومنعها من شن أية عمليات عبر الفضاء الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي، وعرقلة عمليات الترويج لكسب المزيد من الأتباع.

ثالثاً: الجيل الخامس من المقاتلات

في خطوة غير مسبوقة؛ بادر بوتين في 24 فبراير إلى إرسال طائرتين من طراز "SU-57"، التي تنتمي إلى الجيل الخامس إلى قاعدة حميميم العسكرية في سوريا، وذلك في رد فعل على إقحام القوات الأمريكية منظومة الاستطلاع الأمريكية "F-22" غير المرئية، وللتلويح بهيمته الجوية من خلال مقاتلات الجيل الخامس الروسية في حال فكرت القوات الأمريكية باستهداف المزيد من المرتزقة الروس في سوريا.

وتمتلك هذه المقاتلة أنظمة ملاحية مدمجة فائقة التطور، بما في ذلك ثلاث رادارات ذوات مصفوفة الطور النشط، ورادارت على الأجنحة، بالإضافة إلى منظومات تحديد الموقع التي تعمل بالأشعة فوق البنفسجية والأشعة فوق الحمراء، وترتبط جميع نظم المجسات فيها (خمس رادارات، ونطاقين من الأشعة ووسائل الرؤية السلبية) بالبيانات التي تستقبلها الطائرة من مرسلات فضائية وجوية وأرضية.

إلا أن سلاح الجو الروسي قام بسحبها بعد يومين من إرسالها، ورأت مصادر عسكرية أن إعادة هذه المقاتلات المتطورة من الجيل الخامس من منطقة حرب نشطة بعد يومين من "الاختبار" يدل على فشل المشروع، خاصة وأن هذا الطراز من المقاتلات لم يكمل لاختبارات الأساسية في بلد التصنيع ولم يصل إلى المرحلة العملية حتى يتم إرساله إلى ساحات القتال في سوريا.

فبعد وقت قصير من إعلان الرئيس فلاديمير بوتين عن امتلاك أسلحة جديدة قادرة على اختراق الدفاعات الجوية الأمريكية؛ اضطر شويغو إلى تصحيح التقارير التي تم نشرها، مؤكداً أنه تم إرسال طائرتي شبح لإجراء تجارب قتالية، وأن الطائرتين قد عادتا إلى روسيا قبل أسبوع بعد أن نفذتا مهام اختبار قتالية.

لكن تصريحات شويغو أضافت المزيد من الإرباك حول طبيعة الاختبارات التي لم تتجاوز يومين فقط لطائرات تتضمن تقنيات شديدة التعقيد، ومن ثم جرى سحبها بصورة مفاجئة، حيث ثارت التكهنات حول الدوافع الفعلية لسحب هذه المقاتلات، إذ ذهب البعض إلى أن الهدف من إرسالها هو القيام بعمل استعراضي قبل الانتخابات الرئاسية بموسكو، ورأى آخرون أن بوتين شعر بالانزعاج لدى الكشف عن إرسال تعزيزات عسكرية إلى حميميم رغم إعلانه وقف العمليات القتالية في شهر ديسمبر الماضي.

إلا أن المؤكد هو جود ارتباك فعلي في الموقف السياسي والعسكري على أعلى المستويات بموسكو، إذ إنه من غير المقبول عسكرياً أن تقوم قوة بنشر طائرات متطورة من الجيل الخامس في منطقة حرب نشطة ثم سحبها بعد يومين من "الاختبار"، خاصة وأن هذا الطراز من المقاتلات لم يكمل الاختبارات الأساسية في بلد التصنيع ولم يصل إلى المرحلة العملية حتى يتم إرساله إلى ساحات القتال.

ويبدو أن العملية قد جاءت لإرضاء نزوات بوتين في المبالغة والتضخيم من قدرات أنظمة سلاح الجو الروسي، وقد تكون هذه العملية قد تمت على شاكلة إرساله حاملة طائرته الوحيدة الصدئة "أدميرال كوزنيسكوف" إلى المتوسط (نوفمبر 2016) متفاخراً حينها بإصابتها ألف هدف خلال مدة بقائها القصيرة في شواطئ سوريا، لكن أداءها، في الحقيقة، كان كارثياً واضطر بوتين إلى سحبها بعد مدة وجيزة.

ومن الجائز أن يكون بوتين قد أرسل أفضل ما يملك من طائرات إلى سوريا، بغرض التفاخر، لكنه اضطر لسحبها لتفادي مخاطر الكشف عن أسرارها، حيث تمتلك المقاتلة أنظمة ملاحية مدمجة فائقة التطور، بما في ذلك ثلاث رادارات ذوات مصفوفة الطور النشط، وادارت مثبتة على الأجنحة، بالإضافة إلى منظومات تحديد الموقع التي تعمل بالأشعة فوق البنفسجية والأشعة فوق الحمراء، وترتبط جميع نظم المجسات فيها (خمس رادارات، ونطاقين من الأشعة ووسائط الرؤية السلبية) بالبيانات التي تستقبلها الطائرة من مرسلات فضائية وجوية وأرضية. ومن المؤكد أن البيئة الغنية بالأشعة في الأجواء السورية تقدم فرصة مغرية لاختبار هذه الطائرة، خاصة وأن روسيا قد نشرت منظومات دفاع جوي متطورة مثل "إس-400" و"أيه-50 يو"، لكن عملية اختبار مثل هذه التقنيات تتطلب أكثر من يومين، إذ يلزم عملية الاختبار الشامل لكافة تقنياتها ما بين 4 إلى 6 أشهر.

في هذه الأثناء؛ تستعد قوات مشاة البحرية الأمريكية لنشر مقاتلة "إف-35 بي" في مناطق عمل القيادة المركزية الأمريكية "سينتكوم" في الشرق الأوسط، عدا إسرائيل، حيث أصبح

من الممكن لطائرة الشبح، التي تصنعها شركة "لوكهيد مارتن" وذات القدرة على الإقلاع والهبوط العمودي أن تقوم بأول ظهور لها في منطقة الشرق الأوسط مع تصاعد حدة التوتر في سوريا حيث كان من المتوقع أن توجه الولايات المتحدة ضربة عسكرية بعد مزاعم استخدام نظام الأسد للسلاح الكيميائي في دوما بداية أبريل.

ومن المزمع أن تنفذ المقاتلة "إف-35بي" انتشارها الأول محمولاً على سفينة الهجوم البرمائية "يو إس إس إيسيكس" التابعة لوحدة المهام الأرضية-الجوية الثالث عشرة للبحرية الأمريكية في الشرق الأوسط. وذلك بالتزامن مع تأكيد المقدم جايمي ماسيس مسؤول الخطط لدى القوات البحرية للقيادة المركزية (4 أبريل 2018) بأننا: "نشهد حدثاً عظيماً ليس للقيادة المركزية وحسب بل للقوات البحرية أيضاً حيث سنشهد اشتراك الطائرة الأحدث والأكثر فتكاً لدى القوات المشتركة، وفي الحقيقة فإن هذه الطائرة ستوجه نحو الشرق الأوسط، مسرح عمل سينتقوم، وسيعتبر مشاهدتنا للعمليات القتالية صفقة عظيمة".

وتوصف مقاتلة "إف-35بي" بأنها حزمة كاملة من المنظومات الطائرة، حيث تتمتع بقدرات مضادة لأنظمة الدفاع الجوي المعادية، وتتوفر فيها مجسات لالتقاط الإشارات وموجات الرادارات.

كما تلمح تل أبيب بدورها إلى إمكانية الزج بمقاتلات الجيل الخامس من الطائرات المقاتلة طراز "F-35" التي دخلت الخدمة لأول مرة في شهر ديسمبر الماضي؛ الأمر الذي دفع موقع "ديفينس نيوز" العسكري للتساؤل عن السبب الذي منع إسرائيل من استخدام أحدث طائرة في جعبتها وهي الشبح "F-35"، حيث لم تشارك هذه المقاتلات في تدمير الأهداف الإيرانية في 11 فبراير الماضي.

ورجح الموقع أن استخدام هذه المقاتلات يكلف مبلغاً باهظاً، كما أن قيادة سلاح الجو ليست واثقة من قدرة طيارها على تشغيل الجيل الخامس من المقاتلات. ويدور الحديث عن وجود بعض المشاكل في التدريبات التي يقوم بها الطيارون الإسرائيليون على استخدام هذه المقاتلات، حيث اشتكى المتدربون من نقص الأوكسجين في قمرة القيادة، كما تردد الحديث عن فشل الطيارين في دمج الذخائر المطلوبة بجrabات ومخازن التذخير الداخلية للطائرة.

وكان سلاح الجو الإسرائيلي قد أعلن في شهر ديسمبر الماضي انطلاق الاستعداد التشغيلي الأولي لتسليح طائرات من طراز "إف-35"، لكن استخدام هذه الطائرات مكلف جداً، ما يجعل إسرائيل تفضل عدم الزجج بها في المواجهات ضد المواقع الإيرانية في سوريا، خاصة وأن سلاح الجو الإسرائيلي غير متأكد من فعالية الطائرة، كما أنه غير متأكد من إتقان الطيارين لاستخدام هذه الطائرة ومدى قدرتهم على التحكم بها.

ورجحت صحيفة "غازيتا" الروسية أن تكون واشنطن قد أعاققت أو حتى منعت استخدام إسرائيل لمقاتلة "إف-35"، خوفاً من أن يتمكن الخبراء الروس والإيرانيون في سوريا من جمع معلومات عن هذا النوع الجديد من المقاتلات، ونقلت عن العميد المتقاعد من سلاح الجو التابع للقوات الجوية الإسرائيلية، أبراهام أسايل، ومدير معهد "فيشر" للبحوث الإستراتيجية الجوية، قوله إنه لا يوجد أي دافع هام حتى تخاطر القوات الجوية الإسرائيلية بمقاتلة مثل "إف-35" مقابل هدف ضئيل على جميع الأصعدة.